2024 December Vol.(15), No. (64),P (48-27)الصفحة , (64) العدد, (15) الاصدار

IRAQI Academic Scientific Journals

العراقية المجلات الأكاديمية العلمية

Journal of historical & cultural studies

(Online) 2663-8819 E- ISSN:-(Print) 3-111622 ISSN:

Journal Homepage: http://jhcs.tu.edu.iq

مجلة الدراسات التاريخية والحضارية

منازلة السلطان صلاح الدين الايوبي لحصن بيت الاحزان وهدمه سنة 575 هـ / 1179 م

اسم الباحث/ ة (1): م.د.شيماء عبدالباقي محمود

الدرجة العلمية: دكتوراه

التخصص العلمي: تاريخ

مكان العمل: جامعة تكريت كلية الآداب

ملخص البحث عربي:

بيت الاحزان بلدة تقع على مخاضة قرب دمشق, في سنة 574 هـ انشغل صلاح الدين في انهاء حالة عصيان ابن المقدم في بعلبك, الذي رفض تسليم البلد, فقام السلطان بمحاصرة البلد لعدة اشهر, حنى تنازل ابن المقدم عن موقفه وسلم البلد .

وقد استغل الفرنج انشغال السلطان بأمر بعلبك وقاموا ببناء حصن شديد التحصين على تلك المخاضة, وكان موضعه فيه خطورة على المسلمين وعلى تحركاتهم .

ولما انقضى السلطان صلاح الدين من بعلبك , توجه نحو دمشق، وكان منشغل البال بأمر الحصن, فقام بمراسلة الفرنج وطلب منهم أن يهدموا الحصن فطلب الفرنج المال الذي انفقوه على بنائه , فبذل لهم السلطان المال حتى وصل الى مائة ألف دينار, الا ان الفرنج داخلهم الطمع وامتنعوا .

فقرر السلطان قتالهم وازالة الحصن بالقوة , ففام بحصار الحصن ثم مهاجمته، وتمكن الجند من نقب السور، ودخلوا الحصن ، وقاتلوا من فيه حتى صيروهم بين قتيل وأسير .

الكلمات المفتاحية: نور الدين,بيت الاحزان,منازلة,السلطان,بلاد الشام

The Battle of Sultan Salah al-Din al-Ayyubi for the fortress of the House of sorrow and its demolition in 575 Ah / 1179 ad

Name of The Researcher(1): Shaima Abdelbaki Mahmoud

Degree: Dr

Scientific specialization: history

Place of work: Tikrit University Faculty of Arts

Abstract

The House of Sorrows is a town located on a ford near Damascus. In the year 574 AH, Saladin was preoccupied with ending the state of disobedience of Ibn al-Muqaddam in Baalbek, who refused to surrender the country, so the Sultan besieged the country, until Ibn al-Muqaddam relinquished his position and surrendered the country.

The Franks took advantage of the Sultan's preoccupation with the order of Baalbek, and they built a heavily fortified fortress on that image, and his position in it was dangerous to the Muslims and their movements.

And when Sultan Salah al-Din completed his orders towards Damascus, and he was preoccupied with the matter of the fortress, and asked them to destroy the money, and demanded from them, and urged them to obtain money, so he gave the Sultan until he reached a hundred thousand dinars, with the Franks inside them. Greed and abstained.

And he removed the fort by force, so he besieged the fort and then attacked it, and the soldiers were able to break through the wall, and they entered the fort, and they fought in it until they became dead and captured .

Keywords: Nour El Din,House of Sorrows,manazilah,Sultan,Levant

Received: الاستلام

Accepted: القبول

Available Online: July/ 2024 النشر المباشر

Corresponding author: Journal.H.C.Studies@tu.edu.iq

المقدمة

وبعد وفاة السلطان نور الدين محمود سنة 569هـ / 1174م, تهيأت الفرصة للناصر صلاح الدين الذي كان يحكم بلاد مصر نيابة عنه، أن يتطلع إلى تملك بلاد الشام وضمها إلى حكمه؛ وغرضه من هذا هو تقوية وحدة الصف الإسلامي، وتوحيد كافة الجهود من اجل الاستعداد للوقوف بوجه الصليبيين، وتحرير الأراضي المحتلة من أيديهم، فتمكن من السيطرة على دمشق, ثم على مدن الشام الاخرى كحمص وحماة وبعلبك، وأعلن بعدها عن استقلاله وتبعيته للخلافة العباسية التي منحته لقب سلطان، وأصبحت معظم بلاد الشام تحت سيطرته، وبعد ان اطمأن صلاح الدين إلى على قوة جبهته الداخلية، ووثق من تماسكها، انتقل إلى الخطوة التالية، وتوجه بكل قوته العسكرية وطاقته إلى قتال الصليبيين، واشتبك معهم في سلسلة من المعارك تكللت بالانتصارت الساحقة، ومن تلك المعارك موقعة بيت الاحزان موضوع بحثنا هذا .

التعريف ببيت الاحزان

وتسمى ايضاً (بداً) وهو موضع او قرية يقع بتهامة على ساحل البحر مما يلي الشام[1] أي انها حسب وصف بعض الجغرافيين: "بلد بين دمشق والساحل"[2]، تبعد عن دمشق مسافة يوم واحد وتبعد عن صفد[3] وطبرية مسافة نصف يوم[4] , لذلك فهي من اعمال صفد[5] . وكان هذا الموضع على مخاضة[6] نهر, لذلك فقد سمي ايضاً بـ(مخاضة بيت الاحزان)[7] .

اما اصل تسميته ببيت الاحزان فهي مأخوذة من الحزن وهو ضد الفرح[8], اذ قيل أن نبي الله يعقوب (عليه السلام) كان يسكن في ذلك الموضع او القرية في أيام فراق ابنه يوسف (عليه السلام)، ولأن النبي يعقوب كان بها حزيناً مدة طويلة، فقد سميت بهذا الاسم[9] , اذ جاء في القران الكريم قوله تعالى: ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَا عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[10] .

وقيل ان من ذلك المكان (بيت الاحزان) سار النبي يعقوب (عليه السلام) الى بلاد مصر للقاء بولده يوسف (عليه السلام)[11] .

وهناك موضع اخر يحمل نفس الاسم (بيت الاحزان) او (بيت الحزن) ولكنه بعيد عن هذا الموضع , اذ يوجد في منطقة البقيع في المدينة المنورة مكان يطلق عليه هذا الاسم قيل ان السيدة فاطمة الزهراء

Corresponding author: Journal.H.C.Studies@tu.edu.iq

(عليها السلام) بنت الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) كانت تأوي اليه للبكاء على ابها بعد وفاته (صلى الله عليه وسلم)[12] , وقيل انها دفنت في ذلك البيت[13] .

الوضع السياسي والعسكري لدولة صلاح الدين الايوبي والتي مكنت الافرنج من بناء الحصن

بعد أن ملك صلاح الدين دمشق , ومن بعدها مدينة حمص وقلعتها, سار منها جنوباً نحو بعلبك وكان بها خادم اسمه يمن الريحاني وال عليها من أيام السلطان نور الدين, فحاصرها[14], فلما شاهد الخادم يمن كثرة عساكر صلاح الدين, اضطرب في أمره, فأرسل إلى صلاح الدين يطلب الأمان له ولمن عنده, فأمنهم صلاح الدين وتسلم القلعة في يوم السبت الرابع من شهر رمضان من سنة 570 هـ / 1174 م[15] . ثم أقطعها السلطان للأمير شمس الدين محمد ابن المقدم , وذلك مكافأة له لما بدا منه من إظهار طاعته بدمشق وتسليمها له[16] .

أستمر ابن المقدم واليا على بعلبك, مدبراً لأحوالها , ومحافظاً عليها من تعرض الفرنج, وذكر العماد الاصفهاني انه في سنة 572 هـ / 1176 م , أن ابن المقدم قد نصب في الغياض[17] كميناً للفرنج, الذين كانوا قد تعرضوا لمنطقة البقاع وهاجموها , وتمكن ابن المقدم من الفرنج, وقتل العديد منهم, وأسر أكثر من مائتي أسير, وأحضر الأسرى إلى السلطان صلاح الدين , الذي كان في ذلك الوقت يحاصر مصياف[18] . وذكر ابن ابي طي أن هذه الحادثة التي وقعت لابن المقدم مع الفرنج, كانت من أكبر الدواعي التي جعلت صلاح الدين يصالح سنان زعيم الاسماعيلية (التي اشرنا اليها سابقاً) "لأن السلطان خاف أن تهيج الفرنج في الشام الأعلى وهو بعيد عنه فربما ظفروا من البلاد بطائل فصالح سناناً وعاد إلى دمشق "[19].

وفى سنة 571 هـ / 1175م عاد شمس الدولة توران شاه بن أيوب من اليمن, بعد ان استناب عليها عدداً من نوابه , والتحق في خدمة اخيه صلاح الدين في بلاد الشام [20] , فطلب توران شاه من أخيه مدينة بعلبك , وألح عليه في الطلب , وذلك لانها كانت تربيته ومنشأه كان بها , وكان يحبه , ويختارها على غيرها من البلاد, ولأنه كان الاخ الاكبر للسلطان صلاح الدين فلم يستطع صلاح الدين مخالفة رغبة أخيه [21] . وكان ذلك في اواخر سنة 573 هـ / 1177 م[22] .

وعندما وصل السلطان صلاح الدين إلى الشام , لم يخرج ابن المقدم لاستقباله كما جرت عليه العادة خوفاً أن يأخذ منه بعلبك, وكاتبه عدة مرات الا ان ابن المقدم اصر على رفضه , فيقول الاصفهاني الذي

كان مرافقاً لصلاح الدين: "ولما وصلنا في هذه النوبة إلى الشام, لم يحضر كما جرت به العادة للخدمة والسلام, فإنه كان نمي إليه, أن الملك المعظم فخر الدين شمس الدولة طلبها من أخيه, وأنه لا يمكنه الرد في نجز مباغيه, وعلم أنه إذا حضر حظر عليه العود, وتضعضع عليه الرأي السلطاني وحمله الطود, وكوتب مراراً, سراً وجهاراً, ويفصح له بالمقصود, والأرب المجهود, فأبى الا الاباء, وكذب الأنباء, وشارف السلطان منه ومن أخيه الحياء, ومكث طويلاً عسى أن يجمع بين القلوب, ويدفع ما لزم من الخطوب, وهو يستعين بالله في هدايته إلى الصواب, وارشاد الآراء إلى سداد الآراب "[23] .

فعرض صلاح الدين على شمس الدين ابن المقدم النزول عن بعلبك وان يعطيه بدلاً عنها بلاداً غيرها، فلم يجب إلى ذلك العرض، وذكره بالعهود التي كانت بينهما، وما اعتمده صلاح الدين معه ليسلم البلاد إليه، فلم يلتفت إليه صلاح الدين، ولج في أخذ بعلبك، فلم يزل ابن المقدم ممتنعاً وعاصياً لأوامر صلاح الدين، فتوجه صلاح الدين إلى بعلبك على طريق الزراعة ، وقام بمحاصرتها, من غير قتال، فطالت مدة حصارها، ولم يتنازل عنها صاحبها، حتى دخل فصل الشتاء، فرحل صلاح الدين عنها إلى دمشق من غير أن يأخذها وذلك في العشر الآخر من رجب سنة 574 هـ / 1178 م، وترك عسكرا على بعلبك يحاصرها ، فلمّا طال حصار بعلبك, قام ابن بمراسلة السلطان صلاح الدين, وطلب العوض حتى يسلم اليه بعلبك، فعوضه عنها ببارين وكفرطاب، وقرى من بلد المعرة، فاستلمها السلطان، وبدوره أقطعها صلاح الدين أخاه شمس الدولة توران شاه[24] . وبقيت في يده فترة من الزمن , إلى أن أخذها منه صلاح الدين, وعوضه عنها الإسكندرية, وأقطعها لابن أخيه عز الدين فروخشاه ين شاهنشاه بن ايوب[25] .

بناء الفرنج لحصن بيت الاحزان

كنا قد تحدثنا عن عصيان ابن المقدم في بعلبك ورفضه تسليم البلد الى توران شاه شقيق السلطان صلاح الدين, ورغم العروض التي قدمها السلطان لابن المقدم للتراجع عن موقفه, الا ان ابن المقدم ظل ممتنعاً وعاصياً لأوامر صلاح الدين, فما كان من صلاح الدين الا ان يتوجه الى بعلبك ويحاصرها وفيها ابن المقدم , فلمّا طال على ابن المقدم الحصار أرسل إلى السلطان صلاح الدين يطلب العوض عن بعلبك ليسلمها إليه، فاستلمها السلطان واقطعها لأخيه توران شاه, وبذلك انتهت مشكلة عصيان ابن المقدم .

واثناء حصار السلطان صلاح الدين لبعلبك وانشغاله بها, استغل الفرنج هذا الامر لصالحهم, ولأهمية موضع بيت الاحزان قام الفرنج بالشروع ببناء حصن منيع على تلك المخاضة[26] , وكانت الفرقة الداوية[27]

هي التي اخذت على عاتقها بناء الحصن[28] وهي من اشهر فرق الفرنج واهمها, وسمي قلعة أو حصن يعقوب[29] , او قصر يعقوب[30] .

وفي هذا الشأن يقول البنداري نقلاً عن العماد الاصفهاني الكاتب قوله: "كان السلطان (صلاح الدين) على بعلبك نازلاً, ولتسلمها محاولاً, وطال مقامه عليها, فانتهز الفرنج فرصة الخلو, واستخلوا عصر العتو, وجاءت الداوية منهم, وشرعوا في بناء حصن على مخاضة بيت الأحزان, واحكموا بناء ذلك المكان"[31] .

وقد علم المسلمون وعسكر صلاح الدين بنوايا الصليبيين وشروعهم ببناء الحصن, فذهبوا الى السلطان صلاح الدين واخبروه بالأمر, وقالوا له ان موضع الحصن فيه خطورة على المسلمين وعلى تحركاتهم, وانه سوف يصيبهم بالوهن, اذ ان الحصن سوف يكون مرصداً لحرب المسلمين، وقطع طريقهم[32] , ومن الافضل مهاجمتهم قبل الاتمام من بنائه, الا ان السلطان صلاح الدين كان له رأياً اخر, وكان يرى ان يتركوا الصليبيين يعمروا حصنهم حتى يستنفدوا قواهم, وينفقوا عليه أموالهم, ويتعبوا رجالهم, حتى " إذا أتموه نزلنا عليه وهدمناه إلى الأساس" [33] . وفي هذا الشأن يقول البنداري نقلاً عن العماد الاصفهاني قوله: " وكان يقول للسلطان: متى احكم هذا الحصن, تحكم على الثغر الإسلامي الوهن, وغلق الرهن, فان بينه وبين دمشق مسافة يوم, فيقول: إذا أتموه رحلنا وهدمناه إلى الأساس, وجعلناه من الرسوم الادراس, فندعهم الآن حتى يستنفدوا بقية أحوالهم, وينفقوا عليه أموالهم, ويتعبوا رجالهم, فإذا قصدناه عكست آمالهم, والحينا نالهم, فنقول منعهم من الابتداء, أسهل من الدفع في الانتهاء"[34] .

وبعد فترة ليست بالبعيدة اتم الفرنج عمارة الحصن, وذلك في سنة 574 هـ / 1179 م[35] , وكان حصناً شديد المراس والتحصين والتحكيم ومن كتاب من اشاء القاضي الفاضل الى الديوان العزيز في بغداد يصف فيه ذلك الحصن وحصانته فيقول: " وقد عرض حائطه إلى أن زاد على عشرة أذرع, وقطعت له عظام الحجارة, كل فص منها من سبع أذرع إلى ما فوقها وما دونها, وعدتها تزيد على عشرين ألف حجر, لا يستقر الحجر في مكانه , ولا يستقل في بنيانه , إلا بأربعة دنانير فما فوقها, وفيما بين الحائطين حشو من الحجارة الصم , المرغم بها أنوف الجبال الشم, وقد جعلت سقيته بالكلس, الذي إذا أحاطت قبضته بالحجر مازجه بمثل جسمه , وصاحبه بأوثق وأصلب من جرمه , وأوعز إلى خصمه من الحديد, بالا يتعرض لهدمه"[36] .

ولما عمر الفرنج بيت الأحزان اعتبر المسلمون هذا العمل فأل حسن بالنسبة لهم, ونذير شؤم للفرنج, وبذلك قال الشاعر النشو أحمد بن نفاذة[37] :

هلاك الفرنج أتى عاجلا ... وقد آن تكسير صلبانها

ولو لم يكن قد دنا حتفها... لما عمرت بيت أحزانها[38]

موقعة مرج عيون التي سبقت موقعة بيت الاحزان

قبل ان يهاجم صلاح الدين وجيشه الفرنج في حصن بيت الاحزان كانت لهم موقعة مع الفرنج سبقت موقعة بيت الاحزان الا وهي موقعة مرج العيون , فمع مستهل سنة 575 هـ / 1179 م (وهي السنة التي هاجم فيها السلطان صلاح الدين حصن بيت الاحزان) أجمع رأى السلطان صلاح الدين ومن معه من الامراء ن على أن يقتحموا على الفرنج بلادهم ,ويستولوا على في أيديهم من الغلات في غارة سريعة لا تتجاوز اليوم الواحد ثم يرجعوا الى قواعدهم بعد ان يحققوا مبتغاهم ، فتوجهوا صوب البقاع وذلك ليلة الأحد الثاني[39] من شهر المحرم[40]

وفي صباح اليوم التالي وبينما السلطان واقفاً على الطريق وجد هناك سروحا من الأبقار والأغنام جافلة, ثم جاء اليه احد الرعاة فأخبره أَنه شاهد عسكر من الفرنج قد عبروا بالقرب من المكان , فَتعجب صلاح الدين من هكذا خبر واستبعده , وقال: لو ان الفرنج كانوا يقصدونه لوردنا خبرهم عن طريق العيون والجواسيس وذكروا لنا عدده وعدته [41]

فبينما هو كذلك جاءه من كان في مقدمة العسكر وأخبره بصحة الخبر الذي نقل له فرجع إلى المخيم وقت الظهيرة وقال: " اركبوا وأدركوا العدو" وصاح بعسكره وحلقته , فأشرف عليهم وكانوا فِي الف رمح وما يقارب العشرة آلاف مقاتل[42] .

فالتقى الفريقان واصطدم الجندان، ودارت بينهم معركة حامية كان النصر فيها حليف السلطان صلاح الدين, وانهزمت رجالات الفرنج , وكان لعز الدين فروخشاه ابن اخو السلطان في هذه الموقعة البلاء الحسن , ووقع في الاسر العديد من المقدمين من فرسانهم وشجعانهم , ما يقدر باكثر من مائتين ونيف وسبعين، وتم نقلهم إلى دمشق، وبعد سنة أفتدى ابن بارزان نفسه ، بمئة وخمسين ألف دينار ، اضافة الى إطلاق ألف من اسرى المسلمين.

وكان عيسى الهكاري[43] اسيراً عندهم منذ نوبة الرملة ، فالتزموا فكاكه، وكذلك استفكت القومصية ابنها الاسير بخمسة وخمسين ألف دينار، ومات في السجن مقدم الداوية وكان اسمه أود ، فطلبت الفرنج

بتسليم جثته، فسلموها إليهم، وأخذ المسلمون عوضا عنها أسير من المسلمين، اما الاسرى الباقيين فقد طال أسرهم ، فمنهم من مات في الاسر، ومنهم من خرج بقطيعة[44] .

وفى هذه الوقعة يقول الشاعر أبو على الحسن بن على الجوينى يمدح السلطان , مطلعها :

لك ربّ السماء خير معين ... وكفيل لما تحبّ ضمين

فله الحمد، أي نصر عزيز ... قد حبانا به، وفتح مبين[45]

مهاجمة صلاح الدين لحصن بيت الاحزان سنة 575 هـ / 1179 م

ولما انقضى السلطان صلاح الدين من أمر بعلبك , وخروجه منتصراً من موقعة مرج العيون، توجه نحو دمشق، وهناك كان منشغل البال بأمر حصن بيت الاحزان, وصار بناء الفرنج للحصن من همه، وندم على تركهم فِي على بنائه في بادي الأمر, فقرر مراسلة الفرنج وطلب منهم أن يهدوا الحصن لأن وجوده سوف يعود بالضرر على بلاد المسلمين , فامتنع الفرنج ورفضوا طلب السلطان, وقالوا انه لا سبيل إلى هدمه, فكرر السلطان طلبه مع التهديد والوعيد فقال لهم " أن يشرعوا في هدمه وإلا سرت إليكم بعساكر الإسلام, فلما تحققوا عزمه وعلموا أن لا بد له من ذلك, قالوا: إن كان لا بد من ذلك فأعطنا ما غرمنا عليه من الأموال فإنا قد غرمنا عليه مالا كبيراً , فبذل لهم أولاً ستين ألف فلم يقبلوا , فبلغ معهم إلى أن بذل لهم مائة ألف دينار فلما سمعوا ذلك داخلهم الطمع" [46]

ومما شجع اصحاب الحصن على الامتناع هو ان الفرقة الداوية كانوا يدعمون من بالحصن ويمدونهم بالأموال والنفقات وجميع ما يحتاجون إليه ، وكانوا يقطعون الطرق على القوافل التي تمر من هناك[47]

فما كان من السلطان صلاح الدين الا ان يستشير اصحابه وقادته في امر امتناع الفرنج عن تخريب الحصن وطمعهم في زيادة المال الذي عرضه عليهم , فكان رأي ابن اخيه تقي الدين عمر ان يبذل المال الذي سوف يمنحه للفرنج الى اجناد المسلمين ثم يسير بهم الى الحصن ويخربه , فاستأنس السلطان برأي ابن اخيه واخذ به[48] .

وقد ذكر الملك المنصور الايوبي (وهو ابن الملك المظفر تقي الدين عمر) هذا الموضوع بتفصيل اكبر حيث يقول : " ان صلاح الدين جمع امرائه وأصحابه وعرفهم ما كان من امتناع الفرنج وطمعهم في ان يزيدهم في المال , فقالوا: الاصوب أن تعطيهم ما يرضيهم من المال , ثم يهدم الحصن , فرد عليهم

صلاح الدين بانه سوف يشاور ابنه اخيه الملك تقي الدين عمر , وكان تقي الدين في حماة , وكان منشغلاً بإصلاح قلعتها وتحصينها, فأرسل صلاح الدين إليه عدد من الأمراء ليحضروا عنده ويأخذوا رأيه, بما يكون عليه من العمل, وعندما وصل اولئك امراء إلى حماة, سلموا اليه كتاب السلطان, وكلموه بما أرسلوا من اجله, فقال تقي الدين : لا آرى ذلك رأياً صائباً , وكتب إلى عمه السلطان كتاباً يقول فيه: إن هذا الرأي الذي قد أزمعت عليه بتسليم المال الى الفرنج ليس بالأمر الصائب, وإن الله تعالى سوف يسألك عن ذلك المال, لأنك قادر على المسير إليهم وقتالهم, ومن الافضل أن نصرف هذا المال على المقاتلين ونرغبهم في الجهاد وقتال العدو, وان تسير بعسكرك وتنزل على الحصن, وسيكون الله تعالى في معونتك وينصرك عليهم, ثم قام الملك تقي الدين خلع على الامراء الموفدين اليه من عمه السلطان, وطلب منهم العودة الى السلطان, فلما وصلوا إليه سلمون الكتاب وعرفوه بقول تقي الدين شفاهاً , فقال صلاح الدين: هذا الرأي السديد[49]

ونحن نرى ان الملك المنصور وعلى الرغم انه كان قريباً من الحدث, وعلى الرغم كذلك من ان والده الملك المظفر تقي الدين عمر كان من ابرز قواد عمه السلطان صلاح الدين, وكان شديد الحب له , وكثير الاعتماد عليه في حروبه, الا اننا نرى ان الملك المنصور ربما بالغ قليلا في وصف المكانة والحظوة التي كان يتمتع بها والده الملك المظفر عند السلطان صلاح الدين , اذ بين ان السلطان كان لا يتخذ قراراً الا بعد استشارة ابن اخيه الملك تقي الدين عمر الاصغر منه سناً , والاقل منه خبرة ودراية بالحروب والمعارك .

وفي اواخر سنة 574 هـ / 1178 م , كان قد وصل الى السلطان رسول من الديوان العزيز[50] في بغداد , وكان الرسول هو شخص اسمه (الخادم فاضل)[51] , ففرح السلطان بقدومه , وقرر ان يستصحبه معه الى الغزاة , والمشاركة في الهجوم على الحصن, وعند وصول السلطان ومن معه, وقف على الحصن الذى استجده الفرنج ، وقام بخطف جماعة من الفرنج كانوا متواجدين حول الحصن ، ثم عاد إلى دمشق [52] . وعلى ما يبدو كانت هذه الحملة هي حملة استطلاعية لجس نبض الفرنج, ودراسة موقع الحصن والقوة العسكرية الحامية له, والاطلاع على نقاط الضعف والقوة للحصن . وهذا ما يؤكده الاصفهاني اذ يقول : " واستصحبه معه (رسول الخلافة) إلى الغزاة, والغارة على بلاد العداة, ووقف بِهِ على الحصن الذي استجده الفرنج بالمشهد اليعقوبي, واطلع من عورات الموضع على سر الغيب الربوبي " [53] .

Corresponding author: Journal.H.C.Studies@tu.edu.iq

وكانت السنة التي سبقت موقعة بيت الاحزان (سنة 574 هـ / 1178 م) سنة محل قلت فيها الاقوات والغلات, وازدادت الاسعار, وعم الغلاء. وبذلك يقول العماد الاصفهاني: " وكان العام مجدباً والجدب عاماً, والشام لروائح الجوانح شآماً , وللأسعار أسعار, وللأسرار استشعار, وللأقوات أقواء , وللغلات غلاء, وللبلاد بلاء , وللسوء استواء , وللضراء استضراء, وللشر استشراء , وعلى العباد من ثقل المحل أعباء , وللرجال من لطف الله رجاء , وإلى عطفه التجاء , ومن العيون بالدموع استسقاء, وللأيدي بالخشوع في رفعها إلى الله استعداء واستدعاء" [54] .

وبسبب سنة القحط هذه , قيل ان الامراء المقربون من السلطان صلاح الدين طلبوا منه ان يتريث بأمر الهجوم, ويؤجله الى سنة اخرى يكون فيها الوضع الاقتصادي افضل مما هو عليه في هذه السنة , وقالوا له : " ليس هذه سنة جهاد فإن استمنحوك السلامة فامنح وإن جنحوا للسلم فاجنح . فقال السلطان: إن الله أمر بالجهاد وكفل بالرزق فأمره واجب الامتثال ووعده ضامن الصدق فنأتي بما كلفنا لنفوز بما كفله ومن أغفل أمره أغفله" [55].

وكان للنصر الباهر الذي حققه السلطان على الفرنج في موقعة مرج العيون الاثر الابرز في تقوية معنويات العسكر, فاتخذ صلاح الدين قرارا بإدامة زخم النصر, وعزم على مهاجمة حصن بيت الاحزان, وازالته من مكانه[56],

وبدأ السلطان يتهيأ لحرب الفرنج, فيعث الى نائبه في مصر اخيه الملك ابي بكر العادل (ت: 615 هـ / 1218 م) أن يبعث إليه ألفاً وخمسمائة فارس يستعين بهم على قتال الفرنج [57] . وكذلك سير السلطان رسله الى سائر الأطراف والبلاد التي تدين له بالولاء , يخبرهم بعزمه على مهاجمة الحصن, ويطلب منهم العون والمدد, وأرسل اليهم الاموال والتخوت والخلع والتشريفات والخيل, حتى وصلت رسله إلى بلاد الاتراك الذين هم كانوا في غرب الفرات وشرقها, وسلموا اليهم الأموال والخلع , ورغبوا اليهم, فلبوا رغبة السلطان وتوجه اليهم خلق كبير منهم, واجتمع عنده الالاف كثيرة من الأمراء والجند [58] . وقد امر السلطان بإعداد الدقيق وتكثيره, وكل ما يحتاج اليه المقاتلين القادمين لنصرته[59] . وهذا يعني ان صلاح الدين كان شديد الاهتمام بأمر بيت الاحزان, وعازم على تحقيق النصر على الفرنج وازاحتهم عن الحصن وتخريبه .

ويخبرنا الملك المنصور الايوبي عن كيفية التحاق والده الملك المظفر تقي الدين عمر بعمه السلطان صلاح الدين فيقول : ان والده الملك المظفر سار من حماة بعساكره متوجهاً إلى دمشق فوصول إليها في

اليوم الاول من من شهر ربيع الآخر, فخرج السلطان لتلقي الملك تقي الدين عمر وجماعته, وسر بقدومه[60] .

وهنا لا بد لنا ان نشير ان معظم المصادر التاريخية التي تحدثت عن موقعة بيت الاحزان, ذكرت ان الموقعة كانت في شهر ربيع الاول[61] (كما ستذكره) , باستثناء الملك المنصور الايوبي الذي ذكر ان الموقعة كانت في شهر ربيع الاخر[62] , وايده بذلك المقريزي[63], وقد ذكر الملك المنصور ان قدوم والده كانت مع بداية ذلك الشهر (كما ذكرنا اعلاه) . الا اننا نعتقد ان الصواب هو شهر ربيع الاول , اذ ان معظم المصادر اشارت الى هذا التاريخ, ومن تلك المصادر العماد الاصفهاني الذي كان مرافقا للحملة, وكان دقيقاً في نقل التفاصيل[64] .

وبعد ان هيأ السلطان عساكره, خرج من دمشق متوجها الى مخاضة بيت الاحزان بجيش عظيم كان "كالبحر الزاخر" [65] وقد وصف الاصفهاني هذا الجيش بقوله: " فض بالفضاء ختام قتامه, وورد على الاصباح باظلامه, وَقدم الرعب إِلَى الأعداء بأقدامه, وخفق أَعلام العقبان بِحق النصر بعقبان أعلامه, وخفقت أرضه, واباد عرض البيد عرضه, وطارت فِي خروقه الخرق, ودجا من فيالقه الفلق, وهادت الوهاد آكامه, وأهدت الأسود آجامه, وسحبت على السحب أردانه, وجرت أرسانه فرسانه, وذكت بمذاكيه نيرانه, وهبت بهبة الأرواح أرواحه ودارت بفوز القداح أقداحه ولاحت غرره وأوضاحه, وأربت باشتراء الانفس في سبِيل الله أرباحه" [66] ,

في يوم السبت التاسع عشر من شهر ربيع الاول وصلت عساكر صلاح الدين الى مخاضة بيت الاحزان , فخيمت العساكر بالقرب من الحصن الى الغرب منه , وبدأت الاستحضارات العسكرية للمعركة المرتقبة, وبسبب مناعة الحصن والمكان كان لا بد من عمل التحصينات للعساكر المخيمة بالقرب من الحصن , فكانت اول الاعمال هو عمل ستار لغرض نصب المجانيق , فاقتضت الحاجة لتوفير الاخشاب اللازمة , فركب السلطان في اليوم التالي (يوم الاحد العشرون من ربيع الاول) وتوجه نحو اراضي صفد , وفي ذلك الوقت كانت قلعة صفد تتبع للداوية , وأمر بقطع ما فيها من كروم وحمل زرجونها[67] وأخشابها , ثم عاد السلطان بعد الظهر , ثم استكمل تنصيب المجانيق واستخدمت الأخشاب لعمل متاريس لها , واستكمال لوازم عملها[68].

وبعد العصر, خرج السلطان صلاح الدين وجمع أمراءه , وتبادل معهم الآراء بخصوص المعركة والهجوم على الحصن, ففأل له احد امراءه وهو عز الدين حاولي الأسدي[69] وهو مقدّم الأمراء الأسدية :

Corresponding author: Journal.H.C.Studies@tu.edu.iq

" تأذن لنا في الزحف قبل نصب المنجنيق حتى نذوق قتالهم ونجرب نزالهم فقال: استخيروا الله حيث اخترتم فنودي في البوادي بالأقدام والحضور في مقام الانتقام فثاروا إلى الثأر وطاروا إلى الأقطار, ودنوا من الباشورة[70] وباشروا وشاقوا معاشرها كأس المنية وعاشروها " [71].

واشتد القتال، وعظم الأمر، ففام شخص من عامة الناس يرتدي قميصاً خلق[72] , وصعد في باشورة الحصن، وقاتل على السور من أعلاه، ثم تبعه غيره من امثاله، ثم لحق بهم الجند، فتمكنوا من ا الباشورة وملكوها، فصار الفرنج في موقف حرج فصعدوا من الباشورة إلى أسوار الحصن يحمون نفوسهم ويحمون حصنهم , ويأملون بالصمود حتى يأتيهم المدد، اذ ان الفرنج كانوا قد تجمعوا بطبرية, وكانوا ينون النجدة للفرنج في الحصن ، الا ان المسلمين الحوا في قتال الحصن , وذلك خوفا من وصول الامدادات الى الفرنج ومن ثم إزاحتهم عن الحصن ، وأدركهم الليل وبات المسلمين طول الليل يحرسون، وكانوا يخشون ان يفتح الفرنج الابواب ويغيروا عليهم على غرة، الا ان الفرنج كانوا في هلع شديد , وقد أوقدوا النار خلف كل باب ليأمنوا من المسلمين، فاطمأن المسلمون، وقالوا: " ما بقى إلا ثقب البرج " [73].

ولما كان الصباح بدأ السلطان بتنفيذ خطة نقب البرج , فقام بتوزيع الامراء على جوانب البرج , فأخذ عز الدين فروخشاه بن شاهنشاه بن أيوب (ابن اخي السلطان) (ت: 578 هـ / 1182 م) الجانب القبلي، وأخذ السلطان نفسه الجانب الشمالي، وأشرف ابن عم السلطان الامير ناصر الدين محمد بن شيركوه (ت: 581 هـ / 1185 م) على نقباً اخر بقرب السلطان ، وكذلك الملك المظفر تقى الدين عمر، وكل امير من امراء الدولة يشرع في طرف مختلف والعمل فيه بسرعة[74] .

وكان الفرنج على السور وراء الستر يرمون النقابون في الاسفل بالقوارير ليمنعوا عملهم[75] , ولكي يمنعوا الفرنج من اخراج رؤسهم من وراء السور, قام السلطان صلاح الدين بترتيب الرماة على الخندق ويمنعوا الفرنج من اي محاولة, وقد كبد هؤلاء الرماة الفرنج العديد من القتلى والجرحى, "حتى استقر النقابون في مواضعهم, فما زالت المعاول تعمل والصخور تتخلخل, حتى استقامت الثقوب " [76] .

وفي اخر يوم الأحد تم النقب الذي كان يشرف عليه السلطان بنفسه, وفي ليلة الاثنين حشى النقب بالحطب ثم أحرق, فظن الجميع أن السور سوف يتضعضع , مما يعجل بانهياره, الا ان السور لم يتأثر لأنه كان اعرض من النقب, اذ ان النقب كان بطول ثلاثين ذراعاً وبعرض ثلاثة أذرع , وقد كان عرض السور حوالي تسعة أذرع , فأصبح الناس فلما كان يوم الاثنين كان السور على حاله , ولم يتضعضع,

فأشفق الجند من الوصول الى هدفهم وضعف يقينهم, فلا سبيل لديهم إلا بتعميق وتوسيع النقب للنيران الملتهبة فيه[77] .

فاحتاج المسلمون صبيحة يوم الاثنين إلى إطفاء النيران ليتم توسيع النقب , فأخرج صلاح الدين صرة فيها ثلاثمائة دينار, وتركها عند الامير عز الدين جاولي وقال له : "من أتانا بقربة من الماء أعطى ديناراً " وكان الماء قريب من السور, فبدأ الناس يتسابقون بالقرب والأوعية حتى أطفأوا النيران, وبرد ما كان في النقب من اثر النيران , ثم عاد النقابون يومي الثلاثاء والاربعاء وزادوا عمق النقب ثم حشوه بالحطب وأحرقوه مرة اخرى[78] .

واشتد حرص المسلمين على اتمام العمل وفتح السور بأسرع وقت, بعد ان وردت الاخبار بان الفرنج قد اجتمعوا بطبرية بجمع كثير, وملأوا بخيلهم ورجلهم تلك المدينة, وانهم قادمون لنجدة بنو ملتهم[79]. وعندما كان يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول وتعالى النهار انقض الجدار, وتباشر الناس, وتسابقوا إلى الثلمة وازدحموا للدخول الى الحصن, وقبل ان ينقض الجدار كان الفرنج يجمعون من وراءه حطباً فلما سقط الجدار اشعلوا به النار ليحموا أنفسهم, الا انه عندما سقط الجدار دخلت الريح من تلك الثلمة وعادت النار اليهم فاحترقت البيوت القريبة, فابتعدوا واجتمعوا إلى الجانب البعيد من النار وطلبوا الامان[80] . فلما خمدت النيران تسلق الجند الجدار فتلوا واسروا من كان في الحصن, وغنموا الكثير , ومما غنموا مئة ألف قطعة من الحديد من جميع أنواع الأسلحة, والكثير من الأقوات وغيرها, وجلس السلطان وأحضر عنده الأسرى وكانت عدتهم نحو سبع مئة اسير , فمن كان منهم مرتداً أو رامياً أمر بضرب عنقه , وسير باقي الأسارى إلى دمشق , كما تمكن المسلمون من اطلاق سراح من كان في الحصن من أسرى المسلمين , اذ كان فيه عدداً من اسرى المسلمين يقدر عددهم بنحو مائة أسير , كان الفرنج قد جمعوهم للعمارة وقطع الحجارة [81] .

ما بعد انتصار السلطان في موقعة بيت الاحزان

وبعد ان تمكن السلطان من الحصن اقام في مكانه وامر بهدم الحصن , فتم هدمه إلى الأساس، ثم طم بئر الماء والذي كان قد حفره الفرنج في وسط الحصن، ورمى فيه القتلى من الفرنج، وفي تلك الاثناء كان رسول القومص[82] عند السلطان، فشاهد ما حل في أهل ملته من البلاء، وكانت مدة مقام صلاح الدين وعسكره على الحصن خلال أيام فتحه وما بعدها أربعة عشر يوماً[83] .

ثم سار صلاح الدين نحو طبرية واعمالها وبيروت فأغار عليها، وأرعب الفرنج هناك ، ثم رجع إلى مدينة دمشق، وهناك مرض جماعة من رجاله , وذلك بسبب الوباء الذي قد تفشى هناك وكان سببه هو شدة الحر , ونتن جيف القتلى، وكذلك اطالة صلاح الدين في المقام عليه من أجل اتمام هدمه، فتوفى عشرة من الأمراء نتيجة ذلك المرض [84] .

وقد هنأ جماعة من الشعراء السلطان بهذا الفتح ، ومنهم الشاعر ابن الساعاتي بهاء الدين أبو الحسن على بن محمد بن رستم الخراساني (ت: 604 هـ / 1207 م) بقصيدة طويلة .

ثم أوردت البشائر إلى سائر الأمصار بنصر المسلمين على الفرنج وتخريبهم لحصن بيت الاحزان ، وورد إلى الديوان العزيز في بغداد كتاب من إنشاء اقاضي الفاضل, يشرح فيه ما كان من فتح بيت الاحزان , وما آل اليه امر الفرنج فيه[85] .

الخاتمة

- بيت الاحزان هو موضع او قرية على ساحل البحر مما يلي الشام, بين دمشق والساحل ، وكان هذا الموضع على مخاضة, قيل أن نبي الله يعقوب (عليه السلام) كان يسكن في ذلك الموضع في أيام فراق ابنه يوسف (عليه السلام)، ولأن النبي يعقوب كان بها حزيناً ، فقد سميت بهذا الاسم
- من بين المشاكل التي واجهة السلطان صلاح الدين الايوبي , هي عصيان الامير ابن المقدم ورفضه تسليم بعلبك , وذلك في سنة 574 هـ / 1178, فما كان من السلطان الا ان حاصره لعدة اشهر حتى تنازل ابن المقدم عن المدينة
- استغل الفرنج انشغال السلطان بأمر بعلبك, وقاموا ببناء حصن شديد المراس والتحصين على تلك المخاضة, وكان موضع الحصن فيه خطورة على المسلمين وعلى تحركاتهم .
- لما انقضى صلاح الدين من امر بعلبك , قام بمراسلة الفرنج وطلب منهم هد الحصن فطلب الفرنج المال الذي انفقوه على بنائه, فبذل لهم السلطان المال حتى وصل الى مائة ألف دينار, الا ان الفرنج داخلهم الطمع وامتنعوا .

- قرر السلطان قتالهم وازالة الحصن بالقوة , ففام بحصار الحصن ثم مهاجمته، وتمكن الجند من نقب السور، ودخلوا الحصن ، وقاتلوا من فيه حتى صيروهم بين قتيل وأسير, ان الاستيلاء على الحصن وهدمه رغم حصانته الشديدة تدل على القوة التي كان يتمتع بها جيش صلاح الدين .

الهوامش

[1] القزويني, زكريا بن محمد بن محمود, (ت: 682هـ / 1283 م), آثار البلاد وأخبار العباد, دار صادر, (بيروت , لا . ت) , ص 154 .

[2] ياقوت الحموي, شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت: 626هـ / 1229 م) معجم البلدان , ط2 , دار صادر, (بيروت, 1995 م), ج1 , ص519 ؛ ابن عبد الحق, صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق القطيعي البغدادي, (ت: 739 هـ/ 1338 م), مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع, تحقيق: علي محمد البجاوي, دار الجيل, (بيروت , 1992 م), ج1 , ص236 .

[3] صفد: هي مدينة في جبال عاملة المطلة على حمص بالشام وهي من جبال لبنان , ياقوت الحموي, معجم البلدان, ج3 , ص412 .

[4] النويري , شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب, (ت: 733 هـ / 1333 م) نهاية الأرب في فنون الأدب, تحقيق : مفيد قميحة وأخرون, دار الكتب العلمية, (بيروت , 2004 م) , ج 28 , ص 395 ؛ كرد علي , محمد بن عبد الرزاق بن محمد ، خطط الشام , مكتبة النوري، ط 3 , (دمشق , 1983 م), ج2 , ص51 .

[5] المقريزي, تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي, (ت: 845هـ / 1441 م) , المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بـ(الخطط المقريزية) , دار الكتب العلمية , ط 1 (بيروت , 1998 م), ج3 , ص407 .

[6] مخاضة: الخوض: المشي في الماء، والموضع مخاضة وهي ما جاز الناس فِيها مشاة وركباناً، وجمعها المخاض والمخاوض . أبن منظور, أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: 711هـ / 1311 م) , لسان العرب, دار صادر , ط3 , (بيروت , 1994 م) , ج 7 , ص147 .

[7] أبن الأثير, أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم محمد الشيباني الجزري (ت: 630 هـ /1233م) الكامل في التاريخ, تحقيق: عمر عبد السلام تدمري, دار الكتاب العربي, (بيروت , 1997 م), ج9 , ص439 ؛ البنداري , أبو إبراهيم الفتح بن علي بن محمد , (ت 643 هـ / 1245 م) , سنا البرق الشامي , تحقيق: فتحية النبراوي , مكتبة الخانجي , (القاهرة , 1979 م) , ص159 ؛ المقريزي, تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي, (ت: 845 هـ/

1441 م) , السلوك لمعرفة دول الملوك , تحقيق: محمد بن عبد القادر عطا, دار الكتب العلمية, (بيروت , 1997 م) , ج1 , ص177 .

[8] ياقوت الحموي, معجم البلدان ج1 ص 519 .

[9] ياقوت الحموي, معجم البلدان ج1 ص 519 ؛ القزويني, آثار البلاد , ص 154 .

[10] سورة يوسف, الآية 84 .

[11] القزويني, آثار البلاد , ص 154 ـ 155 .

[12] القمي, الشيخ عباس, بيت الاحزان, دار الحكمة , ط1 , (قم / ايران , 1412 هـ) , ص 167 ـ 168 .

[13] الهَرَوي, أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي, (ت: 611 هـ/ 1215 م) , الإشارات إلى معرفة الزيارات, تحقيق : علي عمر , مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة , 2002 م) , ص 80 .

[14] ابن الأثير, الكامل, ج 9 , ص 408 ـ 409 ؛ ابن واصل, جمال الدين محمد بن سالم بن واصل, (ت: 697 هـ / 1298 م) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب, تحقيق: جمال الدين الشيال, دار الكتب والوثاق القومية, (القاهرة , 1953 م), ج 2 , ص 29 ؛ أبن خلدون , عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربي , (ت: 808 هـ / 1405 م) , مقدمة ابن خلدون , دار الفكر , (بيروت, لا. ت) , العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بـ(تاريخ ابن خلدون) , تحقيق : خليل شحاذه, دار الفكر, ط 2, (بيروت , 1988 م) , ج 5 , ص 300 .

[15] البنداري, سنا البرق الشامي, ص 84 ؛ ابن العديم, كمال الدين عمر بن احمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي, (ت: 660 هـ / 1262 م), زبدة الحلب في تاريخ حلب, تحقيق: خليل المنصور, دار الكتب العلمية، ط 1 (بيروت , 1996م), ص 367 ؛ ابن واصل, مفرج الكروب, ج 2 , ص 30 .

[16] الذهبي, شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز, (ت: 748 هـ /1347م) , تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام , دار الكتاب العربي , ط 2 , (بيروت , 1993 م), ج 39 , ص 65 ؛ ابن خلدون, تاريخ ابن خلدون, ج 5 , ص 300 .

[17] الغياض: جمع غيضة , وهو الشجر الكثير الملتف . المديني, أبو موسى محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني , (ت: 581هـ / 1185 م) , المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث , نحقيق: عبد الكريم العزباوي , دار المدني للطباعة والنشر , (جدة , 1988 م) , ج 2 , 589 .

[18] البنداري, سنا البرق الشامي, ص 108 ؛ ابو شامة, أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (ت: 665هـ / 1267 م), .عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية, تحقيق: إبراهيم الزيبق, مؤسسة الرسالة, ط 1, (بيروت , 1997م), ج 2 , ص 423 .

[19] ابو شامة, الروضتين, ج 2 , ص 424 . (نقلاً عن ابن ابي طي) .

[20] البنداري, سنا البرق الشامي, ص 106 ؛ ابن واصل, مفرج الكروب, ج 2 , ص 49

[21] ابن الاثير, الكامل, ج 9 , ص 435 ؛ ابن واصل, مفرج الكروب, ج 2 , ص 71 .

[22] البنداري, سنا البرق الشامي, ص 149 ؛ ابن شداد, عز الدين ابو عبد الله محمد بن علي (ت: 684 هـ / 1286 م), الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة, تحقيق: سامي الدهان, المعهد الفرنسي للدراسات (دمشق , 1962م), ج2 , ق2 , ص69

[23] عماد الدين محمد بن أحمد بن حامد, (ت: 597 هـ / 1201 م), البرق الشامي, تحقيق: فالح حسين, مؤسسة عبد الحميد شومان, (عمان ، 1987 م), ج 3 , ص 92 ـ 93 .

[24] ابن الاثير , الكامل, ج 9 , ص 435 ـ 436 ؛ ابن واصل, مفرج الكروب, ج 2 , ص 71 .

[25] ابن شداد , الاعلاق الخطيرة , ج2 , ق2 , ص69.

[26] ياقوت الحموي, معجم البلدان ج1 ص 519 ؛ ابن واصل, مفرج الكروب, ج2 , ص 72 ؛ النويري, نهاية الارب, ج28 , ص 395 .

[27] الداوية: فرقة من فرق الجيش الفرنجي , و هم جمعية فرسان المعبد وهي جمعية دينية انشئت اول الأمر لحماية طريق الحجاج المسيحيين بين يافا و بيت المقدس ثم تحولت إلى هيئة حربية , وتكون هذه الفرقة في أول الجيش وهي الفدائية , والداوية يطلقها الفرنجة على الطائفة الدموية لا يشاركهم فيها أحد . دهمان, دهمان, محمد أحمد , معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي , دار الفكر المعاصر, (بيروت , 1990 م) , ص 73 .

[28] ابو شامة, الروضتين, ج3, ص 26 ؛

[29] سبط ابن الجوزي ,شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأُوغلي بن عبد الله المعروف بـ(سبط ابن الجوزي) , (ت: 654 هـ / 1156 م) , مرآة الزمان في تواريخ الأعيان , تحقيق: مجموعة من المحققين, دار الرسالة العالمية ، ط 1 , (دمشق , 2013 م) , ح21 , ص262

[30] الأصفهاني, عماد الدين محمد بن أحمد بن حامد, (ت 597 هـ / 1201 م), البستان الجامع لجميع تواريخ اهل الزمان , تحقيق : محمد علي الطعاني , مؤسسة حمادة للدراسة والنشر , (اربد / الاردن , 2003 م), ص414 .

[31] سنا البرق الشامي, ص158 ـ 159 .

[32] أبن كثير, أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774 هـ / 1373 م) البداية والنهاية, تحقيق:علي شيري, دار إحياء التراث العربي, (بيروت , 1988م), ج12 , ص 368

[33] ابن واصل, مفرج الكروب, ج2 , ص 72

[34] سنا البرق الشامي , ص 159 .

[35] ابن كثير, البداية والنهاية, ج12 , ص 368

[36] ابو شامة, الروضتين, ج3 , ص42 ؛ ابن واصل, مفرج الكروب, ج2 , ص 84 ـ 85 ؛ ابن كثير , البداية والنهاية, ج12 , ص . 373 .

[37] ابن نفاذة: الرئيس الشاعر المتقدم شمس الدولة أحمد بن نفاذة السلمي الدمشقي. كان عند السلطان صلاح الدين الايوبي في عداد رؤساء الأجناد الذين يسمونهم بالأمراء, كان جليل القدر بعيد الهمة أديباً شاعراً , ولد بدمشق سنة 541 هـ / 1146 م ، ومات بها سنة 601 هـ / 1204 م . ابن سعيد المغربي, أبو الحسن على بن موسى بن سعيد الأندلسي

(ت: 685هـ / 1286م) , الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة, تحقيق: إبراهيم الأبياري, دار المعارف، (القاهرة, بلا .ت) , ص 26 .

[38] ياقوت الحموي, معجم البلدان ج1 ص 519 ؛ النويري, نهاية الارب, ج28 , ص 395 .

[39] يذكر الملك المنصور الايوبي انها كانت في الثامن من الشهر وليس الثاني . الايوبي, ابو المعالي ناصر الدين, المنصور محمد بن عمر المظفر بن شاهنشاه بن ايوب , (ت: 617هـ / 1220 م), مضمار الحقائق وسر الخلائق , تحقيق: حسن حبشي , عالم الكتب (القاهرة, 1968 م), ص16 .

[40] ابو شامة, الروضتين, ج3 , ص 27 ؛ ابن واصل, مفرج الكروب, ج2 , ص75 .

[41] الاصفهاني, البرق الشامي, ج 3 , ص 162 .

[42] الايوبي, مضمار الحقائق, ص 16 ـ 17 .

[43] الهكاري: عيسى بن محمد بن عيسى الحسني الطالبي، أبو محمد، ضياء الدين الهكاري , الفقيه المحقق , مستشار السلطان صلاح الدين الأيوبي, اتصل بأسد الدين شيركوه فصار إمامه، ولما توفي شيركوه سعى الهكاري إلى إقامة صلاح الدين في موضعه من الوزارة ، فعرف لضياء الدين سابقته واعتمد عليه في الآراء والمشورات ، وعظم امره , ولم يكن يخرج عن رأيه , توفي بقرب عكا سنة 585 هـ / 1189 م . السبكي, تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين, (ت: 771هـ /1370م) , طبقات الشافعية الكبرى, تحقبق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو, دار هجر للطباعة والنشر, ط2 (القاهرة، 1993م), ج7 , ص255 ـ 256 ؛ الزركلي, خيري الدين بن محمود بن محمد الدمشقي, الأعلام, ط 15, دار العلم للملايين, (بيروت , 1979 م), ج 5 , ص 107 .

[44] ابن واصل, مفرج الكروب, ج2 , ص76 ـ 77 .

[45] الاصفهاني, البرق الشامي, ج 3 , ص 172 . ؛ ابو شامة, الروضتين ج3 , ص30 . .

[46] الايوبي, مضمار الحقائق, ص24 ـ 25 .

[47] الايوبي , مضمار الحقائق , ص25 ؛ ابو شامة , الروضتين , ج3 , ص26 ؛ كرد علي , خطط الشام , ج2 , ص51

[48] ابو شامة, الروضتين, ج3 , ص19 ؛ ابن كثير, البداية والنهاية, ج12 , ص 368

[49] مضمار الحقائق, ص25 .

[50] ديوان العزيز: وهو مصطلح كان يطلق على مجلس الخليفة العباسي غي بغداد, وكان يرأس المجلس الوزير الأكبر ولهذا سمي العزيز, وهو الذي يخاطبه الملوك في مكاتبات الخلفاء. وكان في الدولة السلجوقية يسمى ديوان الإنشاء, المقريزي , الخطط, ج3 , ص294 . وهو يشبه في عصرنا الحاضر ما يسمى بـ(مجلس الوزراء) .

[51] الخادم فاضل: هكذا ذكره ابن واصل, ولم نجد في كتب التراجم ترجمة وافية لهذا الرسول . الا ان العماد الاصفهاني الكاتب والذي كان قد التقى ذلك الرسول قال عنه : " وكان هذا فاضل من أفضل الخدم, وندب بأفضل الخدم, وهو خاص الجهة الشريفة, مخصوص بالمنزلة المنيفة, وكان كريماً, والسؤل بإقامته مقيماً , وكأنه في سواد انسان عين كناه نور, وبالحسن والحسنى مشهور, وزرته فألفيته طلق الوجه بشرا, واليد براً , وهو يشبه بحراً , فلما خرجت من عنده شيع لي من

هداياه وتحفه وألطافه وقراً , ولم يدع أحداً من أكابر الدولة إلا حباه بحبائه وحبه, وحياه من حيا سحبه, فما رأيت رسولا وجه في وجاهته ونباهته, وهمته ونزاهته, وسماحته وسجاحته, وهو ذو فطرة كلها فطنة, ومكانة ما تفارقها مكنى, ومنحة ما ترافقها محنة . البرق الشامي, ج3 , ص147 ـ 148 .

[52] ابن واصل, مفرج الكروب, ج2 , ص 72 .

[53] البرق الشامي, ج 3 , ص148 .

[54] البرق الشامي, ج3 , ص145 .

[55] ابو شامة, الروضتين, ج3 , ص19 .

[56] ابن واصل, مفرج الكروب, ج2 , ص 72 .

[57] ابن كثير , البداية والنهاية, ج12, ص 368 ـ 369 .

[58] الايوبي, مضمار الحقائق, ص25 ،، 26 .

[59] البنداري, سنا البرق الشامي, ص 106

[60] مضمار الحقائق, ص26

[61] سبط ابت الجوزي, مرآة الزمان, ج21 , ص262 ؛ ابو شامة, الروضتين, ج3 , ص 36 ؛ ابن واصل, مفرج الكروب, ج2 , ص80 ؛ النويري, نهاية الارب, ج28, ص 395

[62] يذكر الايوبي ان السلطان صلاح الدين أمر الجيش بالخروج من دمشق والتوجه نحو الحصن في يوم الخميس الخامس من شهر ربيع الآخر , وكان نزوله على الحصن يوم الثّلاثاء الحادي عشر من نفس الشهر . مضمار الحقائق, ص26

[63] السلوك لمعرفة دول الملوك, ج1 , ص179 .

[64] البرق الشامي, ج3 , ص175 ـ 177 .

[65] مضمار الحقائق, ص26

[66] البرق الشامس, =3 , ص 175

[67] الزرجون: بفتح حرفي الزاء والراء وضم الجيم, وجمعها زرجن أو زراجين , وهو شجر العنب وقيل قضبانه . المطرزري, ابو الفتح برهان الدين ناصر بن عبد السيد أبى المكارم بن على الخوارزمي , (ت: 610 هـ / 1213 م) , المغرب في ترتيب المعرب , تحقيق: محمود فاخوري و عبدالحميد مختار, مكتبة أسامة بن زيد , (حلب ، 1979م) , ج1 , ص362 .

[68] البنداري, سنا البرق الشامس, ص 168 ؛ ابن واصل , مفرج الكروب, ج2 , ص80 .

[69] عز الدين جاولي: وهو من اكابر امراء السلطان صلاح الدين الايوبي , وله مواقف حميدة في الهيجاء ومقامات في الغزاة جديرة بالثناء, وهو أكبر أمير للأسدية, ولم يزل فِي الهيجاء , حتى وفاته سنة 581 هـ / 1185 م . ابو شامة, الروضتين, ج3 , ص246 .

[70] الباشورة: وجمعها بواشير, حصن بارز، ولان المشارقة لم يعرفوا الحصون البارزة، فهو بالأحرى حصن مشرف غير منتظم الشكل منعزل عن باقي الموقع, وهو أيضاً حصن منعزل تعلوه سطيحة يشيد في الأرض الخلاء المكشوفة، لمنع

تقدم العدو والتفوق عليه في الحرب . دوزي, رينهارت بيتر آن , تكملة المعاجم العربية , ترجمه وعلق عليه: محمد سليم النعيمي و جمال الخياط , وزارة الثقافة العراقية , (بغداد, 1979 م), ج1 , ص350 .

[71] البنداري, سنا البرق الشامس, ص 168 .

[72] الخلق: صفة نطلق على الثوب البالي الرث, وجمعها خلقان واخلاق . ابن دريد, أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي, (ت: 321هـ / 933 م), جمهرة اللغة, تحقيق: رمزي منير بعلبكي, دار العلم للملايين, (بيروت ، 1987م) , ج1 , ص618 .

[73] ابو شامة, الروضتين, ج3 , ص36 ؛ ابن واصل, مفرج الكروب, ج2 , ص 81 .

[74] البنداري, سنا البرق, ص168 ؛ ابو شامة, الروضتين, ج3 , ص36 ؛ ابن واصل, مفرج الكروب, ج2, ص81

[75] البنداري, سنا البرق الشامس, ص 169 .

[76] الايوبي, مضمار الحقائق, ص28 .

[77] البنداري, سنا البرق, ص168 ؛ الايوبي, مضمار الحقائق, ص28 ؛ ابن واصل, مفرج الكروب, ج2 , ص81 .

[78] الايوبي, مضمار الحقائق, ص28 ؛ ابو شامة, الروضتين, ج3 , ص36 ؛ ابن واصل, مفرج, ج2 , ص 81

[79] البنداري, سنا البرق الشامي, ص 168 ؛ الايوبي, مضمار الحقائق, ص28 ؛ ابو شامة, الروضتين, ج3 , ص36 .

[80] البنداري, سنا البرق الشامي, ص 168 ؛ ابن واصل, مفرج الكروب, ج2 , ص 82 .

[81] الايوبي, مضمار الحقائق, ص28 ؛ ابو شامة, الروضتين, ج3 , ص36 ؛ ابن واصل, مفرج الكروب, ج2 , ص 81 .

[82] يتردد كثيراً ذكر كلمة القومص في المصادر العربية التي أرخت للحروب الصلبية كالروضتين لابى شامة والكامل لابن الأثير، وهو تعريب حرفى للفظة اللاتينية (Comes) أي الأمير، ومعناها الأصلى في اللاتينية «الرفيق» لأنه كان في بادىء الأمر يرافق الملك في حروبه وتنقلاته، ثم سمى بالأمير، وقد تختلف المراجع في رسم هذا للفظ، فهو القمّس، أو القومس أو القمّص، أو القومص . الكرملي, الأب أنستاس ماري, ألقاب الشرف والتعظيم عند العرب, مجلة الرسالة, العدد 411، 19 مايو سنة 1941, ص 4 .

[83] ابو شامة, الروضتين, ج3 , ص36 ؛ ابن واصل, مفرج الكروب, ج2 , ص 81 .

[84] ابن واصل, مفرج الكروب, ج2 , ص 83 .

[85] ابو شامة, الروضتين ج3 , ص42 ؛ ابن واصل, مفرج الكروب, ج2 , ص85 .

المصادر المراجع

القرآن الكريم

المصادر الاولية

ـ أبن الأثير, أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري (ت: 630 هـ /1233م) الكامل في التاريخ, تحقيق: عمر عبد السلام تدمري, دار الكتاب العربي, (بيروت , 1997 م)

ـ الأصفهاني, عماد الدين محمد بن أحمد بن حامد, (ت 597 هـ / 1201 م)

- البرق الشامي, تحيقق: فالح حسين, مؤسسة عبد الحميد شومان, (عمان ، 1987 م)
- البستان الجامع لجميع تواريخ اهل الزمان , تحقيق : محمد علي الطعاني , مؤسسة حمادة للدراسة والنشر , (اربد / الاردن , 2003 م)

ـ الايوبي, ابو المعالي ناصر الدين, المنصور محمد بن عمر المظفر بن شاهنشاه بن ايوب , (ت: 617هـ / 1220 م), مضمار الحقائق وسر الخلائق , تحقيق: حسن حبشي , عالم الكتب (القاهرة, 1968 م)

ـ البنداري , أبو إبراهيم الفتح بن علي بن محمد , (ت 643 هـ / 1245 م) , سنا البرق الشامي , تحقيق: فتحية النبراوي , مكتبة الخانجي , (القاهرة , 1979 م)

ـ ابن عبد الحق, صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق القطيعي البغدادي, (ت: 739 هـ / 1338 م) , مراصد الأطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع, تحقيق: علي محمد البجاوي, دار الجيل , ط 1 , (بيروت , 1992 م)

ـ الحموي, شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت: 626هـ / 1229 م) معجم البلدان , ط 2 , دار صادر , (بيروت , 1995 م)

ـ أبن خلدون , عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربي , (ت: 808 هـ / 1405 م) , مقدمة ابن خلدون , دار الفكر , (بيروت , لا . ت) , العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بـ(تاريخ ابن خلدون) , تحقيق : خليل شحاذه, دار الفكر, ط 2, (بيروت , 1988 م)

ـ ابن دريد, أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي, (ت: 321هـ / 933 م), جمهرة اللغة, تحقيق : رمزي منير بعلبكي , دار العلم للملايين, (بيروت ، 1987م)

ـ الذهبي, شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز, (ت: 748 هـ /1347م) , تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام , دار الكتاب العربي , ط 2 , (بيروت , 1993 م)

ـ سبط ابن الجوزي ,شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأُوغلي بن عبد الله المعروف بـ(سبط ابن الجوزي) , (ت: 654 هـ / 1156 م) , مرآة الزمان في تواريخ الأعيان , تحقيق: مجموعة من المحققين, دار الرسالة العالمية ، ط 1 , (دمشق , 2013 م)

ـ السبكي, تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين, (ت: 771هـ /1370م) , طبقات الشافعية الكبرى, تحقبق: محمود محمد الطناحي و عبد الفتاح محمد الحلو, دار هجر للطباعة والنشر , ط2 , (القاهرة، 1993م)

ـ ابن سعيد المغربي, أبو الحسن على بن موسى بن سعيد الأندلسي (ت: 685هـ / 1286م) , الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة, تحقيق: إبراهيم الأبياري, دار المعارف، (القاهرة, بلا .ت)

ـ ابو شامة, أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (ت: 665هـ / 1267 م), .عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية, تحقيق: إبراهيم الزيبق, مؤسسة الرسالة, ط 1, (بيروت , 1997م)

ـ ابن العديم, كمال الدين عمر بن احمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي, (ت: 660 هـ / 1262 م), زبدة الحلب في تاريخ حلب, تحقيق: خليل المنصور, دار الكتب العلمية، (بيروت , 1996م)

ـ القزويني, زكريا بن محمد بن محمود, (ت: 682 هـ / 1283 م) , آثار البلاد وأخبار العباد, دار صادر, (بيروت , لا . ت)

ـ أبن كثير, أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774 هـ / 1373 م) البداية والنهاية, تحقيق:علي شيري, دار إحياء التراث العربي, (بيروت , 1988م)

ـ المديني, أبو موسى محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني , (ت: 581هـ / 1185 م) , المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث , نحقيق: عبد الكريم العزباوي , دار المدني للطباعة والنشر , (جدة , 1988 م)

ـ المقريزي, تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي, (ت: 845 هـ / 1441 م)

- السلوك لمعرفة دول الملوك , تحقيق : محمد بن عبد القادر عطا , دار الكتب العلمية , (بيروت , 1997 م)
- لمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بـ(الخطط المقريزية) , دار الكتب العلمية , (بيروت , 1998 م)

ـ أبن منظور, أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرويفعى الإفريقي (ت : 711هـ / 1311 م) , لسان العرب, دار صادر , ط3 , (بيروت , 1994 م)

ـ النويري , شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب, (ت: 733 هـ / 1333 م) نهاية الأرب في فنون الأدب, تحقيق : مفيد قميحة وأخرون, دار الكتب العلمية, (بيروت , 2004 م)

ـ الهَرَوي, أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي , (ت: 611 هـ / 1215 م) , الإشارات إلى معرفة الزيارات , تحقيق : علي عمر , مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة , 2002 م)

ـ ابن واصل, جمال الدين محمد بن سالم بن واصل, (ت: 697 هـ / 1298 م) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب, تحقيق: جمال الدين الشيال , دار الكتب والوثاق القومية , (القاهرة , 1953

المراجع الحديثة

ـ دهمان, محمد أحمد , معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي , دار الفكر المعاصر, (بيروت , 1990 م)

ـ دوزي, رينهارت بيتر آن , تكملة المعاجم العربية , ترجمه وعلق عليه: محمد سليم النعيمي و جمال الخياط , وزارة الثقافة العراقية , (بغداد, 1979 م)

ـ الزركلي , خيري الدين بن محمود بن محمد الدمشقي , الأعلام , ط 15 , دار العلم للملايين , (بيروت , 1979 م)

ـ القمي, الشيخ عباس, بيت الاحزان, دار الحكمة , ط1 , (قم / ايران , 1412 هـ)

ـ كرد علي , محمد بن عبد الرزاق بن محمد ، خطط الشام , مكتبة النوري، ط 3 , (دمشق , 1983 م)